QADAYA 24/8/2012 8/23/12 10:43 PM Page 1



# الوحدة المنشودة في مواجهة المخططات الاستعمارية الغربية

بقلم:
يحيى علي المجدمي

على الرغم من التحذيرات التي اطلقها الساسة في ذلك الزمن استطاع الاستعمار وتحت اسم الحملات الصليبية التي لم تكن تعني إلا الأطماع ان ينفذ الى داخل الوطن العربي، ورغم ان معظم الدول العربية كانت واقعة تحت السيطرة الاستعمارية وتعاني التفكك والانقسام في ذلك الوقت، فإن العرب في جميع البلاد العربية هبوا ليدافعوا عن قوميتهم ويدافعوا عن أراضيهم، ولم تنخدع القوميات ولا المذاهب بتعدد أفكارها حتى المسيحيون العرب باسم الحملات الصليبية لانهم كانوا يؤمنون بالقومية العربية، وكانوا يؤمنون بأرضهم وبسمائهم والبلاد التي ولدوا وترعرعوا فيها ووقفوا جنبا إلى جنب مع إخوانهم المسلمين، يدافعون عن فكرة واحدة هي فكرة التضامن من خلال قوميتهم العربية فحينما ظهر الخطر للأمة العربية المفككة في ذلك الوقت اتحدت الأمة العربية، واتحد ملوك وأمراء ورؤساء الأمة العربية، ليواجهوا الخطر، ويواجهوا الاستعمار الغربي الذي غزا أرضهم تحت اسم الحملات الصليبية. وكان النصر في المعارك التي قامت بين ملوك أوروبا – فرنسا وانجلترا وبقية البلاد الأوروبية – وبين الدول العربية، كان النصر حليف الوحدة العربية واستمرت الحرب طوال ٨٠ سنة، للقضاء على العرب.. غزو مستمر وحملات مستمرة، حملات بقيادة ملك فرنسا، وحملات بقيادة ملك بريطانيا، حملات تنادي بأنها تغزو البلاد العربية باسم الدين، ولكنها لم تكن تهدف إلا الاستعمار وسلب مقدراتها، ولم تكن تهدف إلا السيطرة.

واستطاع الصليبيون في أول الأمر ان يحتلوا فلسطين ويستولوا عليها ويحتلوا بيت المقدس، وان يفرقوا بين أبناء الأمة العربية ما بين نظريتهم التخويفية الجديدة (اما معنا واما ضدنا) وبعد أن استتب لهم الامر في فلسطين ومكنوا لانفسهم فيها، أرادوا ان يتقدموا نحو مصر. تقدم الصليبيون من فلسطين إلى غزو مصر، واستطاعوا ان يصلوا الى الشرقية وبلبيس ويصلوا الى أبواب القاهرة. وكانت الجيوش المصرية في ذلك الوقت تحارب وحدها، وكان لابد من أمر لانقاذ الوطن العربي من الغزو الاستعماري الذي قامت به بريطانيا وفرنسا تحت اسم الصليبية. كان لابد ان تتحد الأمة العربية مرة اخرى لتنتصر، وكان التضامن والاتحاد بين سوريا ومصر هما السبيل الوحيد للقضاء على هذه الحملات الصليبية، وهما السبيل الوحيد لانقاذ القومية العربية، فأرسل السلطان نورالدين محمود، السلطان السوري في ذلك الوقت، جيوشه الى مصر لتعاونها في صد الغزاة الصليبيين، واستطاعت جيوش مصر وسوريا التي اتحدت في ذلك الوقت ان تهزم الصليبيين، وان تردهم عن أبواب القاهرة، وان تردهم الى حدود فلسطين.

هذا تاريخنا القديم.. في الأوقات التي كنا متفرقين فيها كانوا يستطيعون ان يغزوا ويفعلوا ما يشاءون ويتحكموا فيها. أما في الاوقات التي تتحد فيها الأمة فكنا نستطيع ان نرد العدوان ونهزم اعتى العتاة ونهزم اكبر الجيوش.

هذا هو التاريخ القديم.. وهذه هي الفكرة التي تبلور الانتصار، وهذا معنى التضامن والمصير والعمل العربي المشترك فأين نحن اليوم من العدوان على الأمة؟ فالوحدة كانت قائمة منذ زمن طويل.

كان المستعمرون الغاصبون أعداء الأمة العربية يحاولون بكل وسيلة من الوسائل ان يفرقوا بين أقطار الوطن العربي وما من مرة تشرذمت دولة عربية إلا وتبعثرت خطواتها وجهودها من تلك التدخلات الأجنبية.

بعد تلك الحملة الصليبية.. بعد عشرين سنة من طرد الصليبيين من القاهرة هاجم الصليبيون من فلسطين ايضا.. هاجموا سوريا، كانت القوات الصليبية أو القوات الاستعمارية الأوروبية التي كانت تتخذ اسم الصليبية، محتلة فلسطين، وقد هاجمت مصر أولا.. فاتحدت سوريا ومصر، وحضرت الجيوش السورية الى مصر وطردت الغزاة. بعد هذا هاجموا سوريا فورا، فاتحدت سوريا ومصر مرة اخرى تحت قيادة صلاح الدين. خرجت الجيوش المصرية من مصر لنجدة الشعب العربي في سوريا، وانتصر صلاح الدين على الصليبيين في معركة (حطين)، ولم تكن نجدة لسوريا وحدها، ولكن استطاعت الجيوش المصرية السورية ان تحرر فلسطين وتحرر القدس وتخرج الصليبيين من فلسطين.

هذا هو أساس الوحدة العربية – التضامن المشترك – ان أيا من أبناء الأمة ينظر الى تاريخه، ينادي بالوحدة، ويشعر بأن في الوحدة تحقيق الآمال ودرء الأخطار، وتثبيت دعائم العمل المشترك والتغلب على دسائس الاستعمار وأطماع الاستعمار.

هذا تاريخ الأمة الطويل من ٨٠٠ سنة و٧٠٠ سنة و٦٠٠ سنة، ولما كانت دولة منا تتعرض للغزو، كانت تسقط اذا بقيت وحدها، ولما كانت دولة منا تتعرض للغزو وتتضامن مع بقية الدول العربية كان العرب يستطيعون ان يهزموا أعتى الجيوش كما حدث في هزيمة الصليبيين، ونحن في نفس الوقت نأخذ من التاريخ عبرا أخرى، ففي تلك الأيام ايضا في الوقت الذي كانت فيه الحروب الصليبية، هاجمت هذه المنطقة من العالم جيوش من أواسط آسيا، جيوش التتار الذين وصلوا الى بغداد وسقطت بغداد في أيدي التتار، واستولى هولاكو على بغداد، وأنهى حكم العباسيين، ثم دخلت جيوش التتار سوريا لتستمر في الفتح والغزو. وكانت سوريا في ذلك الوقت تحارب في معركة الحرية، وتحارب في معركة الامة. وكانت جيوش التتار التي قامت من اواسط آسيا مشبعة بالنصر، انتصرت في كل المعارك التي خاضتها، اخضعت جميع الشعوب التي اغارت عليها، حتى وصلت الى بغداد واخضعتها، حتى عبرت الفرات الى سوريا. فقامت سوريا لتحارب وتصد التتار، وفي نفس الوقت هبت مصر، هبت جيوش مصر لتحارب مع سوريا في هذه المعركة ضد المعتدين الذين لم يهزموا في معركة منذ قيامهم بالغزوات. واستطاعت جيوش سوريا ومصر متحدة ان تهزم التتار في معركة عين جالوت في سنة ١٢٦٠ ففي كل مرة اتحدت سوريا مع مصر يهزم المعتدون ومنهم الجيوش الصليبية التي كانت تمثل الاستعمار الأوروبي، وهزمت جيوش التتار التي انتصرت في جميع معاركها، وأول معركة هزمت فيها هي معركة عين جالوت. ولم يقتصر الأمر على هزيمة التتار، ولكن انسحبوا من الأراضي العربية حتى عبروا الفرات، وتبعتهم الجيوش المصرية والسورية حتى عبروا خلفهم الفرات.

هذا هو معنى الوحدة، وهذا معنى التضامن في العمل والمصير المشترك.

فحينما اتحدت الأمة استطاعت ان ترد الغزاة وان تهزم الجيوش مهما كانت قوة هذه الجيوش. هذا درس للتاريخ وهذا معنى الوحدة التي يجب ان يفكر فيه الزعماء العرب. الخطر كان دائما يقع على هذه الأمة وانه اليوم يحوم في أجوائنا وفي بحارنا وعلى أراضينا لننتبه.

بعد حرب فلسطين، وبعد خروجنا من مأساة سنة ١٩٤٨، كان من السهل جدا على أي واحد يفكر تفكيرا حرا ان يعرف ما هي الوسيلة التي نستطيع بها ان نحمي الامة العربية من السيطرة والتحكم الاجنبي والعدوان، ما هي الوسيلة التي تجمعنا وتحمينا ضد الأطماع الأجنبية؟ ما هي الوسيلة التي تحمينا ضد خطر القومية الصهيونية؟ كانت هذه الوسيلة – بنظرة بسيطة الى تاريخنا – تتضح لكل واحد هي الوحدة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية حتى التكامل، ففي كل فترة على مر الزمن وعلى مر التاريخ، استطاع العرب بالوحدة وبالتضامن ان ينتصروا، واستطاع العرب بالوحدة وبالتضامن ان يكسروا الغزاة والطامعين، ولم يكن السبيل هو التحالف او المعاهدات مع الدول الاجنبية، ولم يكن السبيل هو تسليم ثرواتنا وتسليم مقوماتنا لدولة اجنبية تحت اسم الحماية، ولكن كان السبيل والأكثر واقعية هو الوحدة والتضامن العربي.

إن قمة التضامن التي دعا إليها خادم الحرمين الملك عبدالله آل سعود في مكة المكرمة وفي أواخر شهر رمضان المبارك جاءت في وقتها وفي الأيام التي يحتاج اليها المواطن العربي الى تعرف النماذج المضيئة من رجالات الزمن الحديث المتماسك المتعطش للوحدة والعمل المشترك فالذين قدموا العطاء للمواطن العربي وتحملوا مسئولياته الكبيرة كان لهم دور في النهوض بالفكر الوحدوي وتفاعلوا مع الوضع السائد في ذلك الوقت في خدمة قضايا الشعوب ونذروا أنفسهم وفكرهم وحياتهم من اجل الأمة فالأجيال الجديدة والقادمة في أمس الحاجة الى التآخي في ظل هذه التحديات لتعديل المسارات القومية من خلال السير على الطريق الصحيح لاستكمال رؤاهم الإصلاحية ومشروعاتهم الوطنية، فما أحوجنا اليوم الى مثل وحدة القرار واحسبه سيكون كذلك في مؤتمر القمة العربي القادم!

فالتاريخ لا يتحدث فيه ولا يكتبه إلا من عاشره وعاصره وقرأه، ولهذا فاني أطالب بندوة عربية كبرى تعقد هنا في مملكتنا ليتحدث فيها المؤرخون والكتاب والصحفيون حتى الساسة الذين عاصروا أجزاء كبيرة من الإرث السياسي في القرن الماضي وان تكون هذه الندوة جزءا مكملا للتوصيات التي جاءت بها القمة الإسلامية في مكة لأننا بشر فاننا كثيرا ما ننسى فعلى التاريخ أن يسجل أننا على درب التضامن والوحدة سائرون ولا يصح إلا الصحيح.

# في الذكرى الـ ٤٣ لجريمة الصهاينة بحرق المسجد الأقصى

بقلم: عدنان السمان *

في يوم الخميس الموافق للحادي والعشرين من شهر أغسطس من عام تسعة وستين وتسعمائة وألف، كانت الساعة تقارب السابعة صباحًا.. والحريق الهائل في المسجد الأقصى المبارك يلتهم الرواق الشرقي الجنوبي، ومحراب صلاح الدين، وزاوية زكريا، ويصيب بالضرر الجسيم أعمدة القبة.. وألسنةُ اللهب تُوالي تحركها وانتشارها من أعلى إلى أسفل، وليس من أسفل إلى أعلى جريًا على المألوف في تاريخ النيران، وطبيعة الحرائق، لدرجة أن السجاد لم يتأثر بتلك النيران.. والخبر ينتشر بعد دقائق انتشار النار في الهشيم ليملأ القدس كل القدس، وفلسطين كل فلسطين، وبلاد العرب والعجم في شرق الدنيا وغربها دخانا أسود، وغضبًا ليس عليه من مزيد.

وراء هذا الحدث المذهل مزارع استرالي من سيدني عمره ثمانية وعشرون عامًا، واسمه لمن يرغب في الاحتفاظ بأسماء كهنة دينس مايكل روهين.. عضو في كنيسة الله البروتستانتيّة المؤيدة لليهود، والتي تأسست في قبرص..غادر سيدني في عام ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف، وقضى أحد عشر عامًا في الترحال مثل اليهود قبل أن يصل هذه الديار سائحًا، ليقيم في كيبوتس (مشمار هشارون) مدة ثلاثة أشهر.. يقضي نصف يومه في العمل الزراعي، ونصفه الآخر في دراسة التوراة.. توجه بعد ذلك إلى القدس الشرقية، ونزل في فندق ريفولي..

غادر الفندق عند الساعة السادسة من صباح هذا اليوم الحادي والعشرين من اغسطس تاركًا ملابسه، وجميع حوائجه، وسراجًا كان يُجري عليه بعض التجارب، وموادَّ أخرى قابلة للاشتعال.

دينس مايكل روهين اعترف بفعلته، وقام بتمثيلها.. وجاء في المعلومات المتاحة أن روهين يدعي النبوة، ويعلن نفسه ملكا للقدس ويهودا.. وبعد محاكمة استمرت ثلاثة وعشرين يومًا صدر الحكم بتبرئته من المسئولية الجنائية عن إحراق المسجد الأقصى.. ليلفه بعد ذلك النسيان، ولتدخل القضية بعد ذلك في غياهب العدم والتلاشي، وليسدل الستار عليها بعد ذلك، كما أُسدل على قضايا كثيرة سبقتها، وعلى قضايا كثيرة لحقتها.. ومازال الستار يُسدل حتى يومنا هذا، في شهرنا هذا، في بلدنا هذا.. بل إنه لم يعد هناك ضرورة لستار يُرفع أو يُسدل بعد أن أصبح اللعب على المكشوف، وبعد أن احترق الستار فيما احترق من أشياء.

هذا الحريق.. وهذه المحاولات المستمرة للنيل من الأقصى، وهذه الحفريات التي باتت تهدده بالدمار والاندثار، وهذه الأنفاق.. وكل هذا الحصار، وهذه الجدران، وكل هذه المصادرات والمداهمات، وكل هذا الاستيطان، والمستوطنات في القدس القديمة داخل الأسوار، وفي القدس الجديدة خارج هذه الأسوار، كل هذا وكثير غيره من الحرائق والكوارث التي حلت بالقدس عبر تاريخها الطويل الحافل بالحب والحرب، والموت والحياة له دلالات لا يمكن لباحث أن يتجاهلها، ولا يمكن لمؤرخ أن يغض الطرْف عنها، ولا يمكن لمقدسي، أو لعربي فلسطيني أن ينسى شيئًا منها تحت كل عوامل الضغط والتيئيس والإحباط، وتحت كل وسائل الترهيب، والترغيب، والتزوير، وفرض الحقائق الجديدة على الأرض في كل يوم.

ولعل على رأس هذه الدلالات أن هنالك طامعين في القدس وفلسطين لا يهدأ لهم بال مادام فيها عرب، وما دام فيها مسلمون، وما دام فيها أهلها الذين عرفتهم، وعرفوها، وأحبتهم، وأحبوها منذ فجر التاريخ.. وعليه فإن القدس وفلسطين قد ابتليت عبر العصور بمثل هؤلاء الطامعين فيها، الحالمين بالسيطرة عليها، الواهمين بأنهم قادرون على تحقيق ذلك من خلال هدم هذا الحرم القدسي، أو إحراقه، أو حتى استبداله بما يطيب لهم من أسماء ومسميات لم يقم على وجودها يومًا أي دليل، ولم تثبت صحة سائر المزاعم التي ساقوها لإثبات صلتهم بها، ولإقامة الدليل على أن لهم أدنى أثر فيها.

هؤلاء الطامعون الحالمون الواهمون يريدون بالطبع أن يتخلصوا من المعالم العربية والإسلامية في القدس وفلسطين بكل الوسائل، وهم بالطبع يريدون أن يقيموا على أرض القدس وفلسطين ما يدل على وجودهم فيها، والتصاقهم بها، يريدون أن يثبتوا بكل الوسائل أن لهم جذورًا في هذه الديار، لينطلقوا من ذلك في فرض سيطرتهم عليها.. ناسين أنه لو صحَّ شيء من ذلك افتراضًا فإنه يحق لعرب القدس، ولعرب فلسطين، وللعرب أجمعين أن يستعيدوا معظم أرجاء هذا الكون الذي مازالت آثارهم وقصورهم ومساجدهم وأبنيتهم وخطهم الجميل، ولغتهم العربية العظيمة قائمة ماثلة فيه تروي بأصدق لسان، وأنصع عبارة قصة وجود هذه الأمة، وحضورها في معظم أرجاء هذا الكون الذي عمره العرب، وعمره المسلمون، وشملته حضارة عربية إسلامية زاهرة طبعته بطابعها، وتركت عليه بصمات من الصعب أن تُمحى!

إن كل هذه الممارسات الجائرة بحق عرب فلسطين، وكل هذا التنكر لأبسط حقوقهم في العيش الكريم، وكل هذا الظلم الصارخ الذي أصابهم عبر العصور، وكل هذه الحرائق التي تستهدف مقدساتهم وقلوبهم وتاريخهم ووجودهم لدليل قاطع، وبرهان ساطع على أن هنالك من يتوهم أنه قادر على وضع يده على بلادهم، والسيطرة عليها والتصرف بهم بعد ذلك كما يريد!

إن تاريخ القدس، وتاريخ فلسطين، وتاريخ هذه الأمة يؤكد بما لا يدع أدنى مجال لأدنى شك على أن حملات المحتلين على هذه الديار قد زالت، وعلى ان أهل هذه الديار هم الأقوى، وعلى أنهم الباقون فيها رغم كل عوامل التعرية، ورغم كل العواصف والأعاصير التي تهب عليهم بين الحين والآخر، من هذه الجهة أو تلك.

ولئن كان هذا المجتمع الدولي ممثَّلاً في منظماته وهيئاته ومؤسساته وتشريعاته وقراراته وتوجهاته للسلم والأمن الدَّوليين حريصًا على سلام البشرية، وتقدمها، ورفائها، وازدهارها.. فإنه حريٌّ به أن يقضي على أسباب التوتر والحروب والمنازعات الإقليمية، وحري به أن يتخذ من الإجراءات العملية ما يضمن إحقاق الحقوق، وإشاعة العدل، والشعور بالأمن والأمان في ربوع هذا العالم.

إن السلام والأمن لا يمكن أن يسودا هذا الكون، ولا يمكن أن يتحققا لكثير من أقطاره وبلدانه ما دام هناك متغطرسون، وما دام هناك عنصريون، وما دام هناك من يحلّلون ويحرّمون كما يشاءون، وما دام هناك طامعون في كل شيء، ولا يعترفون لغيرهم من أهل هذه الأقطار بشيء.

وإن السلام والأمن لا يمكن أن يقوما إلا على العدل والعدالة، والشعور بالرضا وبغير ذلك لن يكون سلام، وبغير ذلك لن يكون أمن، وبغير ذلك سيظل هذا الكون الأحدب يلفّ ويدور في حلقات مفرغة لا تؤدي إلا إلى القتل والدمار والكوارث في كثير من أقطار هذا العالم.

* كاتب فلسطيني

أفق

عبدالله خليفة

# النقدُ الذاتي وليس المراوغة

النقدُ الذاتي من جميع التيارات للحراك السياسي ليس نقداً موضوعياً قائماً على قراءةِ الأنظمة ومسارها المطلوب في التاريخ الراهن العاصف.

لاتزال ثوابت الحداثة مرفوضة من قبل الفرقاء، الديمقراطية: تداول السلطة، العلمانية: إبعاد المذاهب الدينية السياسية عن الصراع والتعاون الاجتماعي السياسيين، العقلانية: إدارة الصراع وفق العقل والسلام الاجتماعي.

الصراعُ المذهبي السياسي المتفاقم هو شكلٌ صراعٍ غير عقلاني بين دول كبيرة وتُستخدم فيه المذاهب كحطب لتفجير المنطقة والذي وقوده الشباب والبشر عامة.

المعسكران يرفضان ثوابت الحداثة، وتنساق القوى التحديثية ذات التاريخ الوطني لتأييد هذا المعسكر أو ذاك. في حين يجب أن تؤدي ممارستها إلى تراكم الحداثة السياسية والوطنية في كل دولة ومنع الحروب وخاصة الأهلية منها.

المجتمعات العربية الإسلامية في صراعها بين الإقطاع السياسي والإقطاع الديني حولتْ القطاعات (العامة) وهي رأسمالية الدولة لخدمة الارستقراطيات المذهبية في شكلين رئيسيين من التنمية أولهما عسكرية شاملة خطرة وثانيهما خدمة للمحافظ النقدية الغربية بشكلٍ كبير وترك المجتمعات بأمس الحاجة للرساميل.

ويُفترض من القوى التحديثية التي انزلقتْ لتأييد أحد طرفي النزاع، أن تنسحب من هذا التأييد وتعمل لبنية سياسية عصرية ديمقراطية توحيدية للشعوب والدول.

من الضروري تحويل رأسمالية الدولة أي دولة، لتكون رأسمالية دولة وطنية ديمقراطية، تخضع ماليتها للبرلمانات المنتخبة، وللحكومات المنبثقة عنها، فيما تُترك للرأسماليات الخاصة النمو والتوسع في كل المجالات.

إداراتُ الدول التداولية تجري بين الأحزاب المعبرة عن طبقات وليست معبرة عن طوائف، لأن التعبير عن طوائف سوف يؤدي إلى توجه الرساميل نحو منطقة طائفة، أو قومية، ومصالح النخب فيها وليس ان يجري التداولُ الديمقراطي الرأسمالي الوطني لتطوير الانتاج لكل بلد وشعب، وهذا يؤدي إلى إفشال مشروعات الطائفية السياسية وينتج الدولة المدنية الجامعة.

لكن ممثلي الأحزاب في خلال الصراعات وبعد فشل نتائجها وانتكاسة ثوراتها استمروا في رفض الثوابت التحديثية الديمقراطية العلمانية وبقوا في معسكرات الطوائف السياسية وخندقي الصراع في العالم العربي الإسلامي، وهو ما يمثل خطورة على السلام والأمن والتقدم في المنطقة، نظراً لضخامة الآلات العسكرية ومواد الطاقة الهائلة ومخاطر الانفجار الشامل.

لديهم نظرة تجزيئية ويركزون على دعم الجماعات الطائفية أو على الدول الطائفية، على الإقطاع المذهبي المتعدد الأشكال، أو على الإقطاع السياسي وهيمناته على الأموال العامة.

هم يتخندقون مع القوى التقليدية التي تقود المنطقة للنزاع الحاد، ويصيرون جزءًا من القوى التقليدية، ويرجعون لحواضن الطوائف، ويرددون نفس مصطلحاتهم الدينية المؤدلجة للمصالح الضيقة المسببة للمشكلات السياسية والاجتماعية.

تدهور الجماعات التحديثية من حيث الوعي وتآكل أدواتها الوطنية الديمقراطية بسبب انقساماتها وعدم التشبث بمناهجها التحليلية الطبقية، وتصاعد الانتهازية بين قياداتها وبعض قواعدها للحصول على المكاسب والطفو على السطح السياسي.

لكنه سطحٌ سياسي مشتعل بحاجة للإطفاء والعقلانية والوطنية والسلام، وإعادة النقد إلى منهجيته الصحيحة وصبه في مشروعات سياسية وبرامج محددة، والدعوة لها في الدول والمنطقة عامة، من أجل تغيير سير القطار المناطقي المتجه للحرب وتصعيد العداوات بين القوميات والمذاهب والأديان، وتعبيد سكة جديدة له سكة الديمقراطية والحداثة والعلمانية.

هذا يتطلب من القواعد وبعض القيادات التي لم تصبها عدوى الأمراض العصبية السياسية، وتتحلى بموقف طبقي واع يعبر عن الطبقات الشعبية والطبقات الوسطى الرأسمالية إلى العودة لمناهج ما قبل الوباء الطائفي العام ونقد جميع أشكال الدكتاتوريات باسم طبقة أو مذهب أو دين أو قبيلة أو إقليم أو قومية، واعتبار النموذج الديمقراطي الغربي هو أساس الاحتكام وعلى الدول والقوى السياسية أن تطبقه أو ترتقي إليه، لا أن تكرس تخلفها وتلوي أشكال السياسات والمناهج تبعاً لتخلفها وهيمنتها وطائفيتها.

إن مجاملات الدول والأحزاب وهي بنواقصها وعدم تكامل برامجها لا يفيد شيئاً بل هو يضر بدورها الحاضر والمستقبلي، ولا يقدم إلى الجماهير خرائطَ طرقٍ حقيقية بل يوجهها نحو منزلقات وصدامات خطيرة.

AbdullaKalifaboflasa@yahoo.com

# ما وراء ظاهرة نُفوق القطط

بقلم :
د. إسماعيل محمد المدني

لو كان الموضوع يخص نفوق بعض القطط في منطقة البسيتين في البحرين ما أعطيت أي اهتمام في الموضوع، وما كتبت عنه، فأعداد القطط في معظم مدن وقرى البحرين كثيرة وهي تسبب مشكلة بيئية تتمثل في شق أكياس القمامة ونثر المخلفات بداخلها، أو الولوج في أعماق الحاويات وبعثرة المخلفات في الطرق، إضافة إلى أنها تسبب إزعاجا للمواطنين، فلذلك موت بعض هذه القطط هو من الأمور المطلوبة لتقنين أعدادها وخفض تأثيراتها في النظافة العامة في الشوارع والطرق، ولكن نفوق القطط بالنسبة الي يعتبر مؤشرا حيويا على وجود خللٍ ما في البيئة، واكتشاف ومشاهدة هذه الظاهرة غير الطبيعية وغير المألوفة للناس يعنيان ضرورة النظر فيها بعمق وتشخيصها وتحليل أسبابها، فقد تكون هذه الظاهرة كشفا لمشكلة بيئية وصحية خطرة قد تصيب الإنسان.

فأي خللٍ في الظواهر البيئية المألوفة التي تعودنا رؤيتها آلاف السنين، يعني أن طامة كبرى ستنزل علينا، وأن هناك مشكلة من نوع ما ستصيبنا. فارتفاع درجة حرارة الأرض هو ظاهرة بدأنا نراها ونستشعر بها منذ أكثر من عشرين عاما، وهذه الظاهرة البسيطة تحولت الآن إلى أكبر معضلة دولية تصيب البشرية، حتى ان رؤساء دول العالم اجتمعوا مرات عدة لمناقشة هذه الظاهرة، وإيجاد الحلول الناجعة لها، كذلك التغير في مواسم هجرة الطيور، أو التغير في أوقاتها، هي أيضا ظاهرة تعني وقوع مشكلة بيئية من نوع ما لا ندري تفاصيلها حتى الآن، وتفتح الأزهار أو سقوط أوراق الأشجار في غير موعدهما هما أيضا ظاهرة تنذر بوقوع معضلة بيئية خطرة، وهكذا بالنسبة الى أي تغيرٍ يحدث في الظواهر البيئية التي ألفنها وشاهدها آباؤنا من قبل.

وظاهرة نفوق القطط أيضا هي قد تعني وجود خللٍ ما في البيئة، وهذا الخلل قد يتعدى القطط فيضرب البشر.

وفي الحقيقة، فإنني عندما قرأت الخبر المنشور في جريدة أخبار الخليج في ٢٠ أغسطس تحت عنوان: «مرض غامض يقتل القطط في البسيتين»، حيث جاء فيه أن بعض القطط لقيت حتفها فجأة بعد أن ظهرت عليها الضعف والهزال في جسمها وأصبحت حركتها بطيئة لا تستطيع الوقوف فتسقط بعدها ميتة.. فإن هذا الخبر أيقظ عندي خبرا قد كتبت عنه مرارا، وأحيا في ذاكرتي المآسي البشرية التي وقعت عندئذ، فالخبر يحكي قصة أعظم كارثة بيئية وصحية وقعتْ في اليابان، بل في العالم المعاصر برمته. فالمشهد الأول للخبر يشابه نفوق القطط في البسيتين، حيث لاحظ سكان قرية واقعة على البحر في مدينة ميناماتا في اليابان في مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم ظاهرة غريبة انكشفت على القطط في القرية، حيث إنها كانت تقوم بحركات لافتة للنظر فتدور حول نفسها وتتعثر في مشيتها كأنها سكرى، ثم تسقط فجأة وتموت، حتى ان سكان القرية أطلقوا عليها رقص القطط، ولم تدم هذه الظاهرة طويلا حتى بدأت الطامة الكبرى تنزل على سكان القرية عندما شاهدوا أعراضا مرضية غريبة تصيب الناس، مثل الحمى، وعدم القدرة على الحركة، والشلل الكلي ثم الموت، حتى مات الآلاف منهم، ومرض عشرات الآلاف، مما حيَّر الأطباء والباحثين، وأدخل اليابان في نفق حربٍ عالمية ثالثة أشد وطأة، وأكثر من خسارتها القاسية في الحرب العالمية الثانية.

فهذه الحرب كانت نفسية وصحية جسدية لم يعرف أحد شيئا عن ماهية العدو، وكيف يضرب، ومتى يُنزل صواريخه وقنابله، وبقي المجتمع الياباني عشرات السنوات ليكتشف أسرار هذا العدو القاهر، حتى حلَّ اللغز الغامض وكشف خفايا المرض الغريب، فقد تأكد لهم أن أحد المصانع كان يلقي مخلفاته السائلة سنوات طويلة في خليج ميناماتا، وهذه المخلفات كانت تحتوي على نسبٍ ضئيلة من عنصر الزئبق السام الذي كان يتراكم في الكائنات البحرية مع الوقت، حتى وصل إلى الأسماك، ثم إلى قطط القرية، وأخيرا إلى الإنسان، ولذلك فوجود هذه الظواهر الغريبة على القطط كانت مؤشرا ودليلا مشهودا على وجود خللٍ في البيئة، وكانت الإنذار الأول للإنسان لوقوع كارثة بيئية وصحية إلى حد سواء.

وعلى الرغم من مرور أكثر من سبعين عاما على هذه الكارثة فان جذورها الخبيثة ضربت أطنابها في المجتمع الياباني حتى كتابة هذه السطور، وانعكاساتها البيئية والصحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية يكتب عنها المهتمون، وآخرها المقال المنشور في صحيفة اليابان تايمز في ١٨ أغسطس تحت عنوان: «دروس كارثة ميناماتا مازالت مستمرة».

ولذلك فإن ظاهرة نفوق القطط في البسيتين، أو أي ظاهرة بيئية غريبة نشاهدها أمامنا، يجب الا تمر علينا مرور الكرام، وإنما يجب أن نقف عندها ونسبر غورها لنتعرف جميع أسرارها، فنتأكد من أسبابها وانعكاساتها على صحة الإنسان وبيئته.

bncftpw@batelco.com.bh